

إيقاع التكرار في نسيب الشريف الرضي

الباحثان

الدكتور مزهر صالح حسين / كلية التربية / قسم اللغة العربية

الدكتور إبراهيم صالح حسين / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد : فإن للكلام في قلب العربي نكهة كنكهة الطعام فكما أننا نفاضل بوساطة الذائقة بين فاكهة وأخرى وطعام وآخر فكذلك من قامت اللغة العربية في ذاته على ساق فإنه بوساطة ذائقتة اللغوية والأدبية ينتقي من بين فنون الأدب واللغة ما تتمتع به أنه الموسيقية وفكره الأدبي ولعل ما قالته الدكتورة عاتكة الخزرجي هو الذي غرس بذرة الحب والشوق معا لشعر الشريف الرضي حيث تقول "إن الحجازيات هذه ليست موضع إعجابي أنا وحدي ولا هي كشفا أدبيا أنفرد به دون سواي إنما هي من الذبوع والشهرة بمكان ، ومن الحسن والروعة بحيث لا تتخطاها عين باحث أو ناقد وقد لا أعدو جانب الحق أن لو قلت لك إنها بمثابة الجواهر الفرد في أدبنا العربي كله على توالي عصوره .. فهي عالم قائم بذاته متميز بصفاته رسمتها ريشة صناع وكتبتها أنامل من عبقر ولا إخالها إلا متحدية للغناء في بقائها أبد الدهر(1) ... " وبعد أن اطلعنا على كتاب نسيب الشريف الرضي ، الحجازيات وقصائد آخر (جمع وتحقيق وشرح وخط الدكتورة عاتكة الخزرجي علمنا أن ما قالته الدكتورة من الصواب بمكان وقد لفت انتباهنا أيضا أن مواطن الإيقاع عنده ليس لعروضي إيقاعي أن يتخطاها إلا واهما لذلك عمدنا إلى كتابة هذا البحث اليسير الذي يتصفح بعض مواطن التكرار لدى الشريف الرضي ، وقد أفدنا من الكتب التي تعني بهذا الشأن ولاسيما كتاب (البديع والتوازي ،الدكتور عبد الواحد حسن الشيخ ، كلية التربية/ جامعة

الإسكندرية، الطبعة الأولى 1999 ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، مصر (وكتاب التكرارات الصوتية في لغة الشعر، الأستاذ الدكتور محمد عبدالله القاسمي، تقديم الأستاذ الدكتور زياد فلاح الزعبي، عالم الكتب الحديثة - اربد - الأردن، الطبعة الأولى..(2010 أسأل الله أن يعينني على ذلك فمنه التوفيق.

تمهيد

التكرار لغة واصطلاحاً

التكرار في اللغة من " كرر الشيء ، أعاده مرة بعد أخرى ، وكررت عليه الحديث إذا رددته عليه .(2) وهو واحد من الظواهر الفطرية المصاحبة للإنسان منذ فجر البشرية ، وقد درسه العرب ضمن الفنون البلاغية وذكروا أن من أغراضه توكيد المعنى والاستيعاب والتشويق وغير ذلك. والتكرار في الاصطلاح عرف بطرق مختلفة. قال بعضهم "هو الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العنل الفني، وهو أساس الإيقاع بجميع صوره(3)" وقيل إن التكرار هو "أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ منقح المعنى أو مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرط اتفاق المعنى الأول والثاني ، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقديره في النفس ، كذلك إذا كان المعنى متحداً وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً . فالفائدة في الإتيان به للدلالة على المعنيين المختلفين (4) والتكرار بأنواعه "لا يمكن أن يوضع له حد ينتهي عنده فالشعراء لديهم القدرة على التجديد وخلق أفكار متطورة بحسب تجاربهم ومستويات نظمهم فربما تضع حداً فيتجاوزه شاعر مبدع ويكسر ذلك الطوق الذي يضعه الناقد لذلك قيل: "إن التكرار الشعري البارع الذي ينم على وعي فكري متقدم يجيء في القصيدة على وفق أشكال مختلفة موظفة أساساً لتأدية دلالاتها، غير أن طبيعة التجربة الفنية -ولا سيما الشعرية منها - هي التي تفرض وجوداً معيناً ومحدداً للتكرار، وهي التي تسهم في توجيه تأثيره وأدائه بالقدر الذي يجعل من القصيدة كياناً فنياً لنظام تكراري معين..(5)"

وقد يصبح التوتر الشعري في سياق تجربة شعرية ما إحساساً جمالياً يصعب وصفه أحياناً، فالشعر كونٌ شاسع من الرؤى والأحلام، وفي القصيدة يختبر الشاعر ثقافته وموقفه وإحساسه أيضاً . (6) "فالتكرار" يعد من قديم أهد مظاهر الحدق البلاغي والحجاج ومظهراً من مظاهر الصنعة الشعرية وأسلوباً في تناول الأشياء.(7) و " لعلّ ظهور التكرار في أساليب الشعراء المعاصرين من الأمور التي نبّهت إليها بعض النقاد منذ بداية حركة الشعر الحر ، و جعلتهم يقفون عليها مؤكدين على دور التكرار في النهوض بالقيمة الجمالية للعمل الإبداعي و الحطّ من شأنه على حد سواء.(8) و"إن التكرار في الشعر مثله في لغة الكلام يستطيع أن يُغني المعنى و يرفعه إلى مرتبة الأصالة ، ذلك إن استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة تامة وإلا فليس أيسر من أن يتحول هذا التكرار نفسه بالشعر إلى اللفظية المبتذلة التي يمكن أن يقع فيها أولئك الشعراء الذين ينقصهم الحس اللغوي و الأصالة.(9) و"إن التوازن الصوتي بين مقطعين شعريين أو كلمتين في بيت أو قصيدة له أبعاد دلالية لأنه يعني وجود توازن دلالي (10) ولا يستطيع باحث في الأدب العربي أن يضع حدوداً لأنواع التكرار فاللغة العربية ينبوع من الأساليب فكل باحث له نظره الذي يستخرج به كنوز النص وكلمة غاص الغواص بعمق أكثر توسعت آفاق البحر حوله وبعد مدى نظره .. فلا تزال خيل الأبداء يطلق لها العنان في مراتع الأدب. فأنواع التكرار تختلف باختلاف دوافع التكرار أي بحسب ما يؤثر على نفسية الشاعر أثناء خوضه غمار معركته. فهناك من يقول إن صيغاً ما تتماثل في قصيدة واحدة في الموقع نفسه تكون لها دلالات تحثل موقعا واحداً أيضاً .(11) وهناك من عرف الإيقاع بأنه " نمط يتكرر (12) و"إن التكرار الصوتي في الشعر يخضع لقوانين تختلف إلى حد ما عن تلك القوانين التي يخضع لها الكلام غير الفني ، فإذا كان الكلام العادي ينظر إليه باعتباره كلاماً غير منتظم ، معنى أنه لا يؤخذ بالحسبان تميز بنائه بوضع لغوي خاص ، فإن اللغة الشعرية تتجلى كلغة قد رُتبت على نحو خاص بما في ذلك المستوى الصوتي(13) فمن هذا

المنطلق سنعرض لبعض مواطن إيقاع التكرار بحسب ما رأيت في بعض قصائد الشريف الرضي في نسيبه.

1- التكرارات الأسلوبية:

كما إن الشاعر يكرر جملة بعينها ويكرر كلمة بعينها ويكرر حرفا بعينه ، وكما إنه يكرر الصيغة الصرفية والنحوية مع تغاير يسير كذلك فإنه يكرر الأسلوب مرة ومرتين وأكثر ثم ينتقل إلى الآخر بحسب طبيعة القصيدة. فمن التكرارات الأسلوبية:

أ - تكرر أسلوب الخبر والإنشاء

مثال ذلك قول الشاعر: (14)

عارضاً بي ركب الحجاز نساءً متى عهدك بسكان سلع
واستملاً حديث من سكن الخيف ف ولا تكتباه إلا بدمعي
فاتني أن أرى الديار بطرفي فلعلني أرى الديار بسمعي

فالبيتان الأوليان تتكثف فيهما الإنشاءات المتتالية التي بناها الشاعر على أفعال طلبية واستفهام (عارضاً بي ركب الحجاز (، نساءً(،) متى عهدك بأيام سلع(،) واستملاً حديث من سكن الخيف(،) ولا تكتباه إلا بدمعي .(في البيتين تراه أتى بخمس جمل إنشائية تصدر الأولى منهن فعل الطلب) عارضاً (والثانية فعلية جواباً للطلب) نساءً (والثالثة استفهامية يتصدرها اسم الاستفهام الظاهر) متى (والرابعة طلبية يتصدرها فعل الأمر) استملاً (والخامسة جملة طلبية متكونة الصدارة من لا الناهية والفعل المضارع) لا تكتباه (فالشاعر هنا يريد من خلال الضغط على أسلوب الإنشاء يلفت الانتباه إلى مسألة هامة بالنسبة له وهي رؤية سلع وسكانها التي أصبحت مستحيلة الرؤية بالنسبة له فأراد أن يوظف للرؤية أداة غير العين وهذا غير ممكن بيسر فأراد أن يراها بعين غيره وأن ينقل للقلب أخبارهم بوساطة أخرى وهي رؤية السمع على حد تعبيره هو فلما أصبحت الرؤية مستحيلة أراد أن يصنع المستحيل لكي يراها

فوظف الأذن وظيفه جديدة مستحيلة وهي السمع وهذا الأمر يوجب أن يلفت إليه الأنظار فضغط على الإنشاءات متوالية لينفذ منها إلى ما أراد . ومن أمثلة هذا النوع قول الشاعر (15)

أيهما الرائح المُغْدُ تحمّل حاجة للمتيم المشتاق
 إقْرِ عني السلامَ أَهلَ المصلّي ويبلغ السلام بعضُ التلاقي
 وإذا ما مررت بالخيف فاشهه أن قلبي إليه بالأشواقِ
 وإذا ما سئلتَ عني فقل نضُّ أو هوى ما أظنه اليوم باقِ
 ضاع قلبي فانشده لي بين جمع ومنى عند بعض تلك الحداقِ
 وابك عني فطالما كنت من قبـ لُ أُعيرُ الدموع للعشاقِ

في البيت الأول من هذه المقطوعة باللغة الشفافية نجد أسلوب الإنشاء القائم على النداء والفعل الطلبي) أيها، تحمل (قد غطى البيت بأكمله، ثم بعد البيت الأول يكرر الإنشاء في كل بيت مبررا إياه بخبر ما عن نفسه .. إن تكرار هذا الأسلوب ينبع من التساؤلات المختلفة المتوقعة التي يضح بها صدر العاشق ويقابل هذا التكرار بخبر يبرره ليشجع حامل الرسالة على أدائها كما يريد الشاعر ..

ب - تكرار التساؤل:

ومثاله قول الشاعر: (16)

أقول وقد جاز العراق بذِي الغض ودون المطايا مُرْبِخٍ وَزَرُودُ (17)
 أتطلب يا قلبي العراق من الحمـ ليَهْنِك من مرمى عليك بعيدُ
 ترى اليوم في بغداد أندية الهوى لها مبدئ من بعدنا ومعيدُ
 فمن واصفٍ شوقا ومن مشتكٍ حشا رمته المرامي أعين وخدودُ
 تلتفت حتى لم يبين من بلاد دخان ولا من نارهنَّ وَقُودُ
 وإن التفات القلب من بعد طرفه طوال الليالي نحوكم ليزيدُ
 ولما تدانى البين قال لي الهوى رويدا وقال القلب: أين تريدُ

أَتطمع أن تسلو على البعد والنوى
ولو قال لي الغادون ما أنت مشتته
وأصبر والوعساء بيني وبين
وأنت على قرب المزار بعيد
غداة جزعنا الرمل؟ قلت: أعود
وأعلام جنت إنني لجليد

فهذه الأبيات الثلاث التي تحتها خطوط نراها وردت بأسلوب مكرر وهو استفهامي يتصدره حرف استفهام مكرر وهو الهمزة في الأبيات الثلاث المتبوعة بفعل مضارع مرة للمتكلم (أصبر) ومرتين للمخاطب (أطلب) (أطمع) (أيقاع التكرار هنا يعلن عن أن هناك أشياء تدور في خلد الشاعر لا يكاد يصدقها فهو بين الشك واليقين على مسافة وسط لذلك يكرر التساؤل متبعا إياه جملة حالية دالة على نقض الصفة التي يتساءل الشاعر عنها وكما يوضح الجدول:

الجملة الحالية التبريرية	الأسلوب الإنشائي
	أطلب يا قلبي العراق من الحمى
وأنت على قرب المزار بعيد	أطمع أن تسلو على البعد والنوى
وأعلام جنت إنني لجليد	أصبر والوعساء بيني وبينكم

- **تكرار الكلمة:** وهو أن يكرر الشاعر كلمة أكثر من مرة لعلاقة نفسية أو مناسبة أخرى وقد كثر هذا النوع من التكرار في شعر الشريف، قال: (18)

أضعت الهوى حفظا لحزمي وإنما يسان الهوى في قلب من ضاع حزمه
إن تكرار كلمة (الهوى) (و) (حزم) (في الشطرين يترك لهما وقع في النفس وإنما تكرر ذكر هاتين الكلمتين لأن البيت كان من أجل بذل أحدهما حفاظا على الآخر فالذكر الأول بيان أولي لمقصوده ثم كرر المعنى بأسلوب آخر في الشطر

الثاني ليكون الصوت أسمع، وليكون المعنى أوقع؛ لأن التكرار يقرب البعيد، ويفيد التوكيد، كما جاء في أكثر كتب البلاغة، ومن تكرر الكلمة قول الشاعر: (19)

أعلى العُور تعرفت الخياما ولدانِ الحي مهد ومقاما (20)

منزل من آل ليلي لم يدع ولعُ الدهر به إلا رِماما

حبذا الدار وإن لم يلقن قاطنُ الدار بها إلا لِماما

من رأى البارِق من محبوبه هبةً البارِقِ قد راع الظلاما (21)

كلما أومض من نحو الحمى فقد القلبُ من الشوقِ وقاما

ما على ذي لوعة نبهه بارِقٌ من قِبَلِ العُورِ فشاما

في الأبيات الثلاث الأولى من القصيدة كرر الشاعر لفظة الدار ثلاث مرات، وختم البيت الأول بكلمة مرادفة لها) مقاما (وافتح البيت الثاني بكلمة مرادفة أخرى) منزل، وفي الأبيات الثلاثة التي تتلوها مباشرة كرر لفظة البارِق ثلاث مرات أيضاً ولا شك أن في قصيدة موضوعها الطلل قد يكثر تكرار هذه اللفظة لأنها موطن الطلل فتجده يضغط باستمرار على الدار وما تعلق بها من صفة مثل الحبيبة والبارِق الذي يملأ عين عاشقها فلذلك كرر هذه اللفظة ثلاث مرات متتابعة في ثلاثة أبيات أيضاً . إن إيقاع التكرار هنا والضغط المستمر على لفظتين معينتين يجعلنا نؤمن بأن الشاعر لا يستطيع أن يفارق هذه الأشياء قيد ثلاثة أبيات إذن فلهن من قلبه المساحة الكبرى التي لا تمنحه فرصة النسيان يوماً ما...

- تكرار الحرف : وهو أن يكرر الشاعر حرفاً معيناً وهذا النوع أيضاً كثر في شعر الشريف الرضي ومنه قوله: (22)

أنار الربيع عليها وأسدى

هل الدار بالجزع مأهولة

وهل حلب الغيث أخلافه على محضر من زرود ومبدا

وهل أهله عن تنائي الديار يراعون عهدا ويرعون ودا

لقد كثرت تساؤلات الشريف بعد أن هجر الدار و الديار عن كل ما كان يتذكره من أشياء كانت تحدث معه في تلك الديار وكثرة هذه التساؤلات أنتجت تكرار حرف التساؤل وهو (هل) الذي تكرر مع كل سؤال مبينا الوجل الذي أنتجه الجهل بما يمر على الديار من احداث بعد الرحيل فأحدث هذا التكرار إيقاعا هادئا حزينا يصور حال القلب كيف ينتزى عند ذكر الربوع والأطلال ،بعد النزوح والارتحال ..

نتائج البحث

_ كان شعر الشريف الرضي غنيا بأكثر أنواع التكرار والتقابلات الصوتية حتى إن ينبوعها لا يكاد ينقطع تدفقا ..

_ التصوير الرائع للأحاسيس على شكل لوحات فنية.. لذلك يستطيع أي رسام أن يحولها بريشته إلى لوحة ذات معنى تعلق على الجدار.

_ أكثر أنواع التكرار لديه هو تكرار الأسلوب فكثر تكرار الجمل الاستفهامية مثلا بنفس المواقع ونفس وقع الصوت لتقارب المحتوى الصرفي والنحوي بينهما ..

_ وردت لديه مواطن التكرار بالمترادفات فهذه كثافة إيقاعية بحد ذاتها تستوقف الذهن لأنه يذكر في الموطن المؤثر أكثر من مترادفين أحيانا.

_ تعدى في التكرار ذكر المترادفات إلى ذكر وصف للحبيب وأخذ يكرره مرارا فهذا جانب يكفي وحده لبحث ذي شأن.

_ أكثر مواطن التكرار لدى الشاعر كانت تدور حول العلم والدار والناقة وهذه السمة ورثها من التراث العربي الجاهلي.

_ كان رقيقا كأنه حضري وقاسيا كأنه بدوي فبدا بينهما على مسافة وسط فكان شعره العذب لوحة ينتمي لها كل عربي وينتهي إليها كل ما هو جميل.
_ ينزلق الإيقاع على حنجرتك وأنت تقرأ بعض مقطوعاته فقد رأيت أن أسلوبه فيها غاية الاندلاق الإيقاعي..
_ عادة ما يسرد قصته بين أسلوبين من الأساليب منتقلا بين هذا وذاك خبرا وإنشاء ليأسر فكر المتلقي ويشده نحوه..

التوصيات

_ قلت إن الشريف الرضي يتدفق إيقاعا حتى يكاد ينفرد من بين أقرانه بهذا التدفق اللامتناهي لذلك أدعو كل طالب أن يدرس مساحة من شعره دراسة إيقاعية متقنة وأنا كفيل بأنه سيجد مادة لا تنحصر في بحث أو رسالة أو أطروحة..

الهوامش

- ١- نسيب الشريف الرضي ، عاتكة الخزرجي ص ك.
- ٢- لسان العرب ، مادة كرر .
- ٣- معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس 66 .
- ٤- معجم النقد العربي القديم، د .احمد مطلوب ، ج1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، الطبعة الأولى، 1989 م ، 370 وأطروحة دكتوراه)شعر الأخطل الصغير،بشارة الخوري(دراسة إيقاعية ، مزهر صالح حسين ' جامعة تكريت 100
- ٥- فضاءات التشكيل في شعر عبد الله رضوان،ابراهيم مصطفى الحمد،دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،الأردن عمان.الطبعة العربية 2009 م. 78 .
- ٦- بنية التكرار وجمالية التوتر (قراءة في) جواد ليس لأحد(لإبراهيم ديب. بحث.

- ٧- المصدر نفسه.
- ٨- دهشة التكرار المفارق في قصيدة(فكر بغيرك)لمحمود درويش, بحث للأستاذ (بن صالح نوال)قسم الأدب العربي والعلوم الإنسانية والاجتماعية . جامعة محمد خيضر , بسكرة.
- ٩- المصدر نفسه.
- ١٠- ينظر : التكرارات الصوتية. 18
- ١١- ينظر:البنيات اللسانية في الشعر , صاموئيل ليفن, ترجمة الولي محمد والتوازاتي خالد , منشورات الحوار الأكاديمي , مطبعة فضالة. 57 , 1989 ,
- ١٢- النقد الفني,دراسة جمالية فلسفية ,جيروم ستولفيز,دار الفكر اللبناني, بيروت الطبعة الثانية100 , 1983
- ١٣- طائر الوجد , دراسة تطبيقية في بنية النص الشعري العربي الحديث , سعدي يوسف أنموذجا , تأليف الدكتور عبد القادر جبار , مطابع دار الشؤون الثقافية العامة 2010 الطبعة الأولى. 146-147 ,
- ١٤- نسيب الشريف الرضي. 73
- ١٥- المصدر نفسه. 98-99
- ١٦- المصدر نفسه. 37-38
- ١٧- مُرَيْخ: اسم جبلكائن بطريق الحاج إلى الكوفة وهو واحد من خمسة كما وإنه أشدها . وزرُود:رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج إلى الكوفة.
- ١٨- نسيب الشريف الرضي . 25
- ١٩- تقول مؤلفة الكتاب) : اختلال نحوي في عجز البيت , لعل الأصوب: وبارد الحي. 25)
- ٢٠- تقول مؤلفة الكتاب): عجز البيت مختل المعنى. 25)
- ٢١- نسيب الشريف الرضي 32

قائمة المصادر

- نسيب الشريف الرضي ، الحجازيات وقصائد آخر، جمع وتحقيق وشرح وخط
الدكتورة عاتكة الخزرجي.1984
- البنيات اللسانية في الشعر ، صامون ليفن، ترجمة الولي محمد والتوازاتي خالد ،
منشورات الحوار الأكاديمي، مطبعة فضالة. 1989 ،
- التكرارات الصوتية في لغة الشعر،الأستاذ الدكتور محمد عبدالله
القاسمي،تقديم الأستاذ الدكتور زياد فلاح الزعبي،عالم الكتب الحديثة -أريد
الأردن،الطبعة الأولى . 2010
- طائر الوجد ، دراسة تطبيقية في بنية النص الشعري العربي الحديث ، سعدي
يوسف أنموذجا ، تأليف الدكتور عبد القادر جبار ، مطابع دار الشؤون الثقافية
العامة 2010 الطبعة الأولى.
- فضاءات التشكيل في شعر عبد الله رضوان،ابراهيم مصطفى الحمد،دار
اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،الأردن عمان.الطبعة العربية 2009 م .
- لسان العرب ، للإمام العلامة ابن منظور(722)هـ ،دار إحياء التراث
العربي -مؤسسة التراث العربي -بيروت -لبنان.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، أمجدي وهبة وكامل
المهندس.
- معجم النقد العربي القديم، د .احمد مطلوب ، ج1، دار الشؤون الثقافية
العامة، بغداد ، الطبعة الأولى،1989 م.
- النقد الفني ،دراسة جمالية فلسفية ،جيروم ستولفيز،دار الفكر اللبناني
بيروت،الطبعة الثانية . 100 ، 1973

الأطاريح

- شعر الأخطل الصغير ،بشارة الخوري ،دراسة إيقاعية ،أطروحة تقدم بها
مزه صالح حسين صالح إلى مجلس كلية التربية في جامعة تكريت .

البحوث

- بنية التكرار وجمالية التوتر (قراءة في) جواد ليس لأحد (لإبراهيم ديب).
- دهشة التكرار المفارق في قصيدة)فكر بغيرك(لمحمود درويش,بحث للأستاذ) بن صالح نوال(قسم الأدب العربي والعلوم الإنسانية والاجتماعية . جامعة محمد خيضر , بسكرة